الفلسطيني . يدخل تعقيداته ، ويكون واقعيا ، ليس بالمعنى المبسط للكلمة ، بل بمعنى اكتشاف العلاقات الخفية . وعند هذه النقطة ، تكون اللغة الشعرية قد تجاوزت نفسها ، استعادت تاريخها ، ومزجت ذاكرتها بالرؤيا .

الوحدة بين حوارات قصيدته ، نصل الى سرد من نمط شعري خاص (حين انحنت في الريح). فالشاعر يبتعد عن جسد شعره ليصوغ القصيدة لكن رغم السرد الذي يوحد الفواصل ، ورغم تداخل الحوارات ، تبقى الرؤيا مشتتة في ثنايا عناصر الذات التي تنفجر ، حتى يصل درويش الى الوحدة في جماعية الممارسة الثورية . نحن ، هي المتكلم الحاضر . انها الحاضر لانها تلخص المكان المأساوي داخل الزمن الجديد :

« اقول : البحر لا
والارض لا
بيني وبينك نحن
فلنذهب لنلغينا ويمتد الوداع » .

هنا نصل الى الايقاع الخارجي الصاخب الذي يختتم القصيدة . الايقاع الصاخب هو في أساس قدرتها الختامية . انها محاولة امتداد الى الاخرين ، لذلك يتخلى درويش دفعة واحدة عن بنية قصيدته ، ليكتب شعرا مباشرا . هذه النحن هي بداية « نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب مع العروش الزائفة » . انها فعل مباشر ، لذلك فهي مباشرة ، تتخلى عن طموح اعادة صياغة العلاقات لتوظف نفسها في هدم العالم القديم . تبحث عن الايصال السريع دون ان تتخلى عن بكارة الصورة « ننشر عار فخذيك السماويين » وتنحني لاعصار الذاكرة التي تعود دائما الى ابسط الاشياء وابسط الكلمات وابسط الموسقة . هنا يختتم درويش قصيدته وصوته لا يزال معلقا بين الطائرات والعرس ، وهو يبحث عن وسيلة لكتابة اخرى . فمعنى الحلم الفلسطيني هو تماما في احد اسطر قصيدته : « فقلت العمر لا يكفي لقبلتها » . فلسطين ليست مجرد ارض تحمل ذاكرة ، انها ارض المستقبل العربي ، وعلى دمائها تكتب ملامح المستقبل .

بين صوت الطائرات المغيرة وفرح العرس ، يقع الصوت الشعري في محاولته صياغة الحلم الفلسطيني . لذلك يصبح الشهيد اكبر من الارض ، ويصبح الفعل اكثر قدرة على الاحاطة بالانسان من الجمود الرومانسي . والفعل ضرورة جسدل ، لذلك يقسم درويش ذاته ويحاورها ، حوارا مدمرا ، ولا يستطيع الخلوص من هذا الحوار الا حين تدخل جماعية الممارسة ، فيعلو الايقاع الخارجي ويخفت البحث الشعري ، ليبدأ البحث داخل الواقع .

ان الميزة الاساسية ، التي لشعر درويش في الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، هي انه تلخيص لمراحل هذه الحركة وهجوم على التجربة من جهة ، وتوظيف لها داخل الممارسة الصراعية من جهة اخرى . لذلك حين تلخص قصيدته تاريخه الشعري فانها تلخص كذلك تجربة شعرية عامة وتفتحها على الاحتمالات .

بين الذاكرة والرؤيا ، تقع الممارسة التي توحد . او هكذا تفترض هذه القصيدة ، فلماذا تأتي الممارسة خفوتا في الصوت التشكيلي ؟ ولماذا يجب العودة الى عناصر الايصال المباشرة ؟

هذه هي اسئلة المستقبل ، التي لا جواب عليها خارج الممارسة الشعرية نفسها .